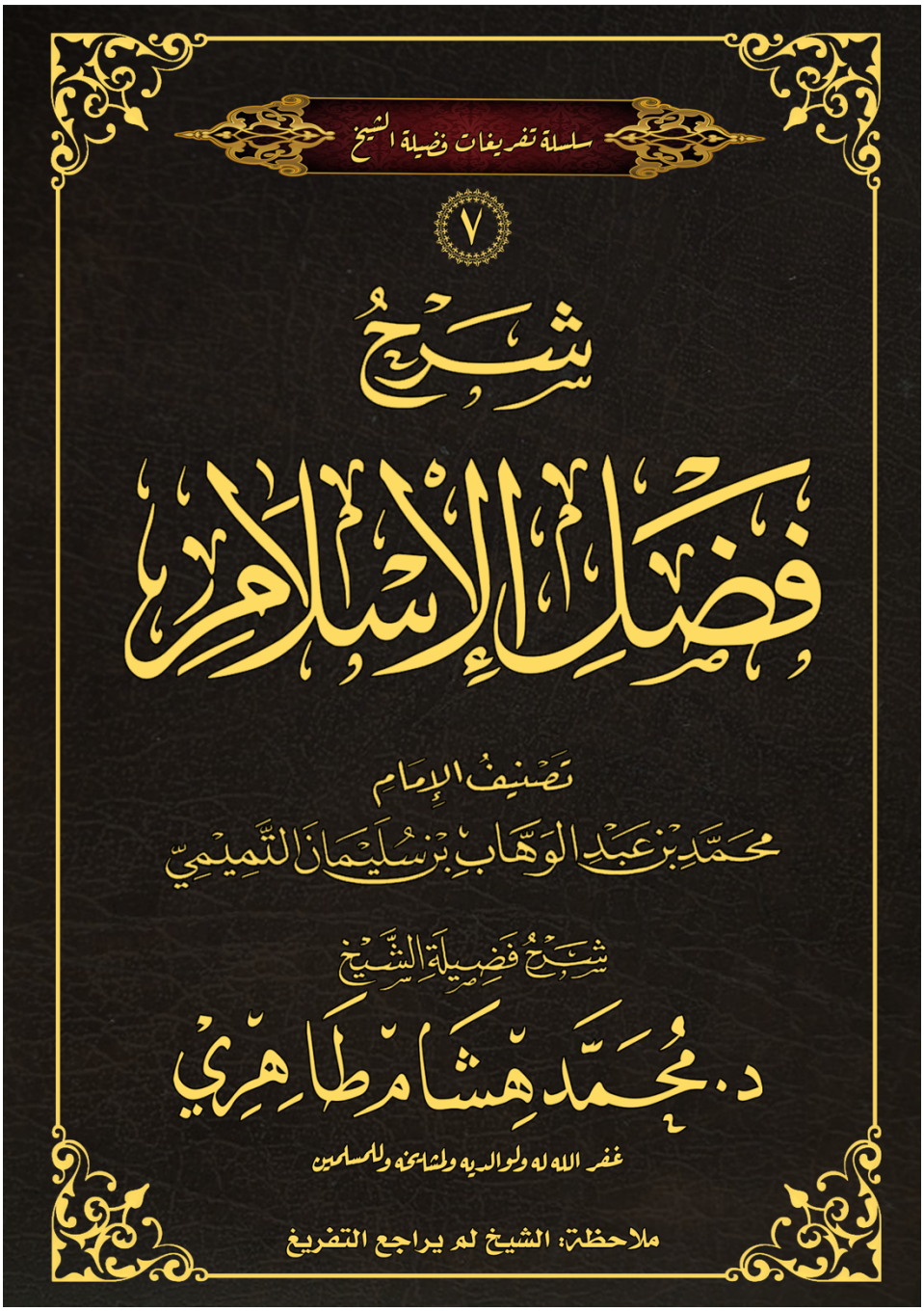
سلسلة تفريغات فضيلة الشيخ
٧
شرح
فضل الإسلام
تصنيف الإمام
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي
شرح فضيلة الشيخ
د. محمد هشام طاهري
غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين
ملاحظة: الشيخ لم يراجع التفريغ

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك وأنعم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فهذا هو المجلس الخامس من مجالس [**الدورة التأصيلية الأولى في دورتها الثانية**]، وهو الأول في كتاب [**فَضْلِ الْإِسْلَامِ**] للإمام المُجدِّد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، ونحن في يوم السبت ٢٥ من شهر صفر عام ١٤٤٠ من هجرة المصطفى ﷺ، فنبدأ على بركة الله تعالى مع هذه الرسالة القيِّمة التي عنوانها [**فَضْلِ الْإِسْلَامِ**].

والحقيقة أنِّي لم أجد مؤلَّفًا في هذا العنوان ولا في هذا المعنى؛ وهو بيان فضل الإسلام، وهذه الرسالة قيِّمة من جهة موضوعها، وقيِّمة من جهة قوة استنباط مؤلِّفها -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-.

كيف نعرف فضل الشيء؟ هذه مسألة مهمة جدًّا.

- إمَّا أن تُدرَك الفضائل بالعقول.
- وإمَّا بالمنقول.

وإدراك الفضائل بالمعقول إنَّما تكون من الأمور المعقولة دون الغَيْبيَّات، وإذا كان الإسلام موافقًا للفطرة؛ فهذه فضيلة من فضائلها المعقولة.

بل إنَّ من أعظم فضائل الإسلام: أنَّها موافقة للفطرة.

من أعظم فضائل الإسلام: أنَّه دِينٌ موافقٌ للمعقول، فليس فيه ما هو مُحالٌ عقلًا، وإن كان فيه ما يَحارُ فيه بعض العقلاء.

من فضائل هذا الدِّين المعقولة والمنقولة: أنَّه يُخرِج الناس من عبادة العِباد إلى عبادة رب العِباد.

من فضائل الإسلام المعقولة والمنقولة: أنَّه يُخلِّص الناس من الأوهام والخُرافات، ويربطه باليقينيَّات، يخلص الناس من الأوهام والخيالات ويربطه باليقينيَّات.

من أعظم فضائل الإسلام المعقولة والمنقولة: أنَّه مبنيٌّ على العدل في أحكامه؛ فجميع أحكام الإسلام عدلٌ إذا نَظَرَ إليه الإنسان بعين الإنصاف.

وهذه بعض الفضائل المعقولة، والإمام المُجدِّد رَحِمَهُ اللَّهُ سيذكُر لنا فضائل أخرى من خلال هذا المؤلَّف المبني على الكتاب والسُّنَّة.

ونبدأ على بركة الله لاسيما نحن في زمان أصبح الناس يظنُّون أنَّ الإسلام دِين الآباء والأجداد، لا يعرفون فضله ولا قِيمته إلَّا مَن رَحِمَ الله وقليلٌ ما هُم، هذا الدِّين لو عَرَفَ الناس قَدْره لبذلوا الغالي والنفيس لأجله.

ولهذا ترى مَن يهتدِي إليه يلزمه ملازمة الحبيب الغائب عن حبيبه، ملازمة الظمآن الواجِد لمائه، ملازمة الخائف الواجد لأَمْنه؛ لِمَا يرى من عظمته وجماله وجلاله.

أمَّا إذا غاب عن أذهان الناس فضائل الإسلام فتسمعون بين الفَيْنة والفَيْنة مَن يزعُم ويدَّعِي أنَّه دِينٌ من الأديان، ألم تَرَ أنَّ السَّيْف ينقُص قدرُه إن قِيل: «إنَّ السَّيْف أمضَى من العصا»! حرام لا يجوز ولا ينبغي لا عقلًا ولا شَرْعًا أن تُقارن بين الإسلام وبين دِين آخر:

هذا مُنزَّلٌ من السماء، يكفيه فَضلًا.

وأمَّا هذه فمُخترعات الناس، مبتدعات الناس، مُحدثَات الناس، زيادات الناس، نواقص الناس.

ولهذا قال ﷻ: (قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ)[سورة الأنعام، من الآية:١٤٨]، (أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ)[سورة القلم، الآية:٣٧]؛ أي: مُنزَّلٌ من السماء، (إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ) [سورة القلم، الآية:٣٨]؛ كل ما عند الناس من مُخترعاتهم، من زياداتهم، من تأليفاتهم.

أمَّا هذا الدِّين الذي عندنا والكتاب الذي عندنا، القرآن حتى الكُفَّار يشهدون أنَّ الذي عندنا اليوم هو الذي كان قبل ١٤٤٠سنة، هو الذي كان موجود قبل ١٤٠٠ سنة، حتى الكُفَّار يشهدون بهذا، وأنَّه ليس فيه زيادة حرف ولا نُقصان حرف.

لو تكلَّمنا عن فضائل الإسلام بإسهاب لَمَا استطعنا أن ننتهي؛ ولكن هذا الذي نذكُره هو بعض فضائل الإسلام، وما يذْكُره المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ هو بعض فضائل الإسلام.

فعلينا -أيها الإخوة- أن نتعلَّم فضائل الإسلام، وأن نعرف فضل الإسلام حتى نزداد تمسُّكًا به، ودعوةً إليه، وحمِيَّةً له... نسأل الله أن يجعلنا من لَبِنات البناء في هذه الأُمَّة العظيمة أُمَّة الإسلام!

وننظُر إلى هذه الأبواب التي بوَّبَ عليها الإمام، ونُبيِّن بعض ما يتعلَّق بهذه الأبواب من فضائل الإسلام... نسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا العلم النافع والعمل الصالح! القراءة مع أبي أحمد. نعم!

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله. اللهم اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللمسلمين أجمعين

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- تعالى- في رسالته [فضل الإسلام]: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَبِهِ نستعين.

بَابُ فَضْلِ الْإِسْلَامِ

وَقَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[سورة المائدة، من الآية:٣] الْآيَة، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمْ﴾[سورة يونس، من الآية:١٠٤] الْآيَة، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)[سورة الحديد، الآية:٢٨].

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عُمَر ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي عَمَلًا مِنْ غُدْوَةٍ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ اليَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلاَةِ العَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ عَلَى قِيرَاطَيْنِ؟ فَأَنْتُمْ هُمْ، فَغَضِبَتِ اليَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: مَا لَنَا أَكْثَرَ عَمَلًا، وَأَقَلَّ أَجْرًا؟ قَالَ: هَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئًا؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: ذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ».

وَفِيهِ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي.

وَفِيهِ تَعْلِيقًا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ». انْتَهَى.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّبِيلِ وَالسُّنَّةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ فَتَمَسُّهُ النَّارُ، وَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ عَلَى سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ ذَكَرَ الرَّحْمَنَ فَاقْشَعَرَّ جِلْدُهُ مِنْ مَخَافَةِ اللهِ تَعَالَى إِلَّا كَانَ كَمَثَلِ شَجَرَةٍ

يَابِسٍ وَرَقُهَا إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا. وَإِنَّ اقْتِصَادًا فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنْ اجْتِهَادٍ فِي خِلَافِ سَبِيلٍ وَسُنَّةٍ».

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: «يَا حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارِهِمْ كَيْفَ يَغْبُنُونَ سَهَرَ الْحَمْقَى وَصَوْمَهُمْ! وَمِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ بِرٍّ مَعَ تَقْوَى وَيَقِينٍ أَعْظَمُ وَأَفْضَلُ وَأَرْجَحُ عِنْدَ اللهِ مِنْ عِبَادَةِ الْمُغْتَرِّينَ».

الشرح:

أول باب أورَدَه المصنِّف بعنوان (**بَابُ فَضْلِ الْإِسْلَامِ**)؛ وفضل الشيء يكون بالنظر -كما ذَكَرْتُ- إلى جهة نفسه، وهل هو فيه عدلٌ وإنصاف، ويؤدِّي إلى الفضائل أو لا؟

فإذا نظرنا إلى دِين الإسلام من جهة نفسه: نَجِدُ أنَّه مبنيٌّ على العدل والإنصاف في جميع أبوابه كما ذَكَرْت.

وإذا نظرنا إلى مآلاته: نَجِدُ أنَّ مآلات أحكامه كلُّها مآلاتٌ عظيمة ومقاصد جسيمة يسعَى إليها العقلاء.

وممَّا يزِيد ويدلُّ على فضل الإسلام:

✸ **أولًا**: أنَّه دِينٌ كامل (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)[سورة المائدة، من الآية:٣]؛ ما دام أنَّه دِينٌ كامل لا نحتاج فيه إلى موائد الشرق والغرب؛ فهذا من فضله؛ إذ لو كان ناقصًا لَمَا كان فيه فضل، فالناقص لا يُقال: «أنَّ فيه فضل»؛ وإنَّما الفضل للكامل (ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)

✵ **ثانيًا**: أنَّه نعمةٌ الله؛ بخلاف الأديان الأخرى فإنَّها من مُخترعات الناس (وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي) [سورة المائدة، من الآية:٣]؛ نعمة الله التي أتمَّها علينا.

✵ **ثالثًا**: أنَّه الدِّين المَرْضِيُّ عند الله (وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا) [سورة المائدة، من الآية:٣].

ولهذا تحت هذه الفضيلة أنَّه الدِّين المَرْضِيُّ عند الله نقول: دِين آدم أول الأنبياء، ونوح أول الرُّسُل، ومَن بَعدهم من الأنبياء والمُرسلين إلى نبيِّنا محمدٍ ﷺ هو الإسلام، وهذا يدلُّنا على فَضْل الإسلام؛ إذ لم يُغيِّر الله ﷻ لأنَّه عدلٌ وإنصاف في كل زمانٍ ومكان.

وإنَّما الاختلاف بين النبيِّ والنبِي، والرسول والرسول، والزمان والزمان اختلاف في بعض الأحكام لا في أصل الإسلام، الإسلام مرضيٌّ عنه في جميع الأزمنة.

وممَّا يدلُّ على فضل الإسلام: ما أورده المصنِّف من آية سورة يونس من قوله جل وعلا: (وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ) [سورة يونس، من الآية:١٠٤]؛ فهذه فضيلة عظيمة: أنَّ الإسلام يدعو إلى عبادة الله، لا يدعو إلى عبادة فلانٍ من النَّصارَى، ولا إلى فلانٍ من اليهود، ولا لفلانٍ من الهندوس؛ وإنَّما يدعو إلى عبادة الواحد الأحد.

ولهذا -أيها الإخوة- الناس حينما يعبدون أشياء يعبدون أشياء ترجع إليهم، إمَّا أنَّهم من قبيلتهم، أو من عشيرتهم، أو من كبارهم، أو من أوليائهم، أو من عُبَّادهم، أو من زُهَّادهم فيعبدونهم.

أمَّا الإسلام فمن فضائله: أنَّه لا يأمُر إلَّا بعبادة الله الذي يتوفَّاه (وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ).

(قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا) سَوَآءِۭ؛ يعني: عدل.

(بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ) [سورة آل عمران، من الآية:٦٤]؛ ها!

ها الحين اليهود ما هم راضِين عن عيسى؛ لأنَّ عيسى عندهم ليس من اليهود، والنصَّارى لا يرضون عُزَيْر؛ لأنَّ عُزَيْر ليس عندهم من النَّصارى؛ لا يا جماعة المعبود لا يكون هكذا؛ المعبود هو الذي يتوفَّاكم.

وفي آية الحديد فيه بيان فضل الإسلام من ثلاثة أوجُه:

الأول: أنَّ مَن تمسَّك به حصَّل على أجرَيْن عظيمَيْن (يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ) [سورة الحديد، الآية:٢٨]؛ يعني: نصيبَيْن، والكِفْل: النصيب العظيم، والضمان الأكيد، وفلانٌ كفيلٌ يعني: ضامنٌ (يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ) نصيبَيْن مضمونَيْن من الرحمة؛ فدلَّ على أنَّ مَن كان مسلمًا فإنَّه يَنالُ نصيبَيْن عظيمَيْن من رحمة الله:

- نصيبٌ من جهة إخلاصه.
- ونصيبٌ من جهة اتِّباعه.

يُحصِّل نصيبَيْن عظيمَيْن:

- نصيبٌ من جهة اتِّباعه للنبي ﷺ.
- ونصيبٌ من جهة إيمانه بالمُرسلين السابقين.

هذا معنى وجه كونه يُحصِّل كِفلَيْن:

- إيمانٌ بالنبي على وجه الخصوص ﷺ.
- وإيمانٌ بالأنبياء على وجه العموم عليهم السلام.
- ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾[سورة الحديد، الآية:٢٨]؛ هذه السابعة.

إذًا من فضائل الإسلام: أنَّه يُنوِّر البصائر ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ فلا تجِدُه يعبُد حجرًا ولا شجرًا ولا كوكبًا ولا جِنِّيًّا ولا إنسِيًّا، مُنوَّر، عنده بصيرة. ﴿وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ﴾ شامة بين الناس، الناس يعبدون معبوداتٍ مخلوقاتٍ مصنوعاتٍ مُحدَثاتٍ ﴿أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾[سورة يوسف، من الآية:٤٠]؛ وهو يعبُد الله الذي يتوفَّاكم.

وهذا فيه دِلالة على فضل الإسلام:

- أنَّه يُنوِّر البصائر (وهذا في الدنيا).
- ويُنوِّر القبر (وهذا في الآخرة).
- ويُنوِّر الصراط (وهذا يوم الحساب).
- ويكون منوَّرًا بالصلاة والوضوء، مُنوَّرًا إذا دخل يُصلِّي.

ذلك لأنَّ القرآن المُنزَّل نور، والنبيُّ المُرسَل سراجٌ منير، فمَن أخذ بالنور المُنزَّل، واستضاء بالسراج المُنير لا بد أن يكون بصيرًا.

لهذا قال الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: "مَن تمسَّك بالسُّنَّة قَوِيَتْ حُجَّتُه"؛ ما أحد يستطيع يغلبه، ليش؟ لأنَّه يقول: قال رسول الله، مَن يستطيع يغلبك؟

✵ **الوجه الثامن**: من دلائل فضل الإسلام: أنَّه سببٌ لنَيْل المغفرات من الله، ويغفر لك، فمن فضائل الإسلام أنَّه يُراعِي الفطرة البشرية أنَّه ليس معصوم فيُخطئ:

- فإذا أخطأ وتاب؛ غَفَرَ الله له.
- وإذا قصَّر وتاب؛ غَفَرَ الله له.
- وإذا زلَّ وتاب؛ غَفَرَ الله له.

هذه الآية وإن كانت عند المُفسِّرين مُنزَّلة في أهل الكتاب إذا أسلموا؛ لكنَّ العموم مرادٌ.

ثم أورَدَ المصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ دليلًا رابعًا على فضل الإسلام وهو:

✵ **الفضل التاسع وهو**: أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ يُعامَل المسلمين بفضله، ويُعامل غيرهم بعَدْله.

قصة الأُجَرَاء: «**مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا**»؛ يعني: الآن أنت في الصُّبح روحت جِبت أجير قلت له: «اشتغل عندي في المزرعة. ولَّا في البيت. ولَّا في الحوش. ولَّا في المصنع، إلى الساعة ستة عصرًا ستة المغرب، بكم؟ قال: بعشرة دنانير. قلتَ له: اتفضَّل تعال. فأَتَيْتَ به فعمِلَ.

ثم الضُّحى ذهبتَ وأتَيْتَ بعاملٍ آخر قلت له: إلى نهاية العمل بكم تعمل؟ قال: بعشرة. فوافقتَ فأتَيْتَ به.

ثم ذهبتَ بعد الظُّهر وأتَيْتَ برجلٍ آخر وأعطَيْتَه قال: بكم؟ قال: بعشرين. فأتَيْتَ به وعَمِل.

فأعطَيْتَ الأول في آخر النهار عشرة، والثاني عشرة، والثالث عشرين، فيقول الأول: إنِّي عملتُ أكثر وأعطَيْتني أقل.

ويقول الثاني: وأنا عملتُ أكثر من هذا وأعطَيتَني أقل منه.

فأنت تقول لهم: هذا مالي! أنا اتَّفقتُ معكم على هذا المقدار فوافقتُم؛ فليس لكم أن تعترضوا، لو فرضًا أنِّي أعطَيْتكم من مالي أضعاف أضعاف هذا هل لأحد الحق في الاعتراض؟ لا.

أنت الآن خرجتَ من المسجد فرأيتَ إنسانًا فأعطيته عشرة دنانير ليس لأحد الحق أن يعترض، وأعطَيْتَ آخر دينارًا ليس لأحد أن يعترض؛ لأنَّ المال مالك.

فالله ﷻ يُعامل أهل الإسلام بفضله، فيُعطِيهم الأجور المُضاعفة، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضِعف إلى أضعاف كثيرةٍ لا يعلمها إلَّا الله، هل هذا كان موجودًا في الأُمم السابقة؟

هذا الحديث يدُلُّ على أنَّه لم يكن موجودًا؛ فالله ﷻ لم يُعامل أُمَّة موسى -ما نتكلَّم عن اليهود والنَّصارى، لا؛ نحن نتكلَّم عن أُمَّة موسى المسلمين منهم،

وعن أُمَّة عيسى المسلمين منهم، ما نتكلَّم عن النصارى- لم يُعامل الله أُمَّة موسى ولا أُمَّة عيسى بِما عامَل به أُمَّة محمد ﷺ، هذا فيه دِلالة على الفضل الخاص للإسلام الذي جاء به محمد ﷺ.

وأمَّا حديث أبي هريرة رضي الله عنه: (**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الْجُمُعَةِ**)؛ فهذا يدلُّ على فضلٍ آخر من فضائل الإسلام وهو: اكتبها: «أنَّ عباداتها واقعةٌ في زمن الفَضْل، كما أنَّ عباداتها واقعةٌ في مكان الفَضْل».

تأمَّلوا معي! الجمعة من أفضل أيام الله في الأسبوع، اليهود والنَّصارى ما اهتدوا إليها، والمسلمون اهتدوا إليها، فيجتمعون فيه ويُصلُّون فيه الجُمعة؛ هذا من حيث الزمان.

وتجد أنَّ عباداتهم متعلِّقة بأوقاتٍ فاضلة: فالصوم في شهرٍ فاضل وهو (رمضان)، والحجُّ في شهرٍ فاضل وهو شهر الله (ذو الحجة) الذي فيه يوم عرفات.

وفي أماكن فاضلة: فالعبادات الصلوات الخمس تُؤدَّى في بيوت الله، والحج يكون في مكة أفضل بِقاع الله ﷻ، ونَجِدُ أنَّ الأجور مضاعفة.

إذًا فضل الإسلام يظهر من حيث أنَّ الله اختار لأهل الإسلام إيقاع عباداتهم في أفضل الأزمنة، وفي أفضل الأمكنة، هذا ظاهر ولَّا لا؟ وأضلَّ الله اليهود والنصارى عن ذلك.

وقال أيضًا ممَّا يدلُّ على فضل الإسلام: أنَّه دِينٌ سَمْح؛ لذلك قال: (**أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللهِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ**)؛ ما معنى الدِّين السَّمْح؟

ليس فيه عُسْر؛ فإنَّه مبنيٌّ على اليُسْر.

ليس فيه حرج ولا مشقَّة؛ لأنَّ الحرج والمشقَّة مرفوعانٌ ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٨]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[سورة البقرة، من الآية:٢٨٦]؛ ترى المُنكرات في مكان ما تستطيع تفعل شيء لا يُؤاخذك الله ﷻ، الأمر سهل.

النبي ﷺ سيِّد الخَلْق يرى الأصنام حول الكعبة ما يستطيع يكسرها؛ هل يُؤاخذه الله؟ هل عاتبه الله؟ لا؛ لكن لمَّا مكَّنه الله أزالها ولَّا لا؟ الدِّين يُسْر. ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [سورة الحج، من الآية:٧٨]؛ ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[سورة البقرة، من الآية:١٨٥].

لذلك ذكرْتُ هذا وأُكرِّر: إذا رأيتَ في شيءٍ حرجًا فاعلم أنَّه ليس من الدِّين؛ فالدِّين ليس فيه حرج، الدِّين فيه ما ترفع به رأسك، الدِّين فيه ما تصدع، ما تستحي من ذِكْره؛ لأنَّه ليس فيه حرج، هل الإنسان يستحي أن يقول: والله إنَّ أمِّي، وأختي، وبنت أخي، وبنت أختي، وربيبتي، وأخت زوجتي، وعمَّة زوجتي قال: محارم يحرُم عليَّ الزواج بهنّ؟

هذا ترفع به رأسك، ترفع به هامتك، تستحِي أن تقول: «أنا لا آخُذ من زوجتي ولا من أُمِّي ولا من بنتي؛ أنا أُنفق عليهِنّ» فخرٌ لك. هذا الدِّين ما فيه حرج، دِين سمح.

من فضائل الإسلام: ما أورده المُصنِّف من قول أُبَي بن كعب ﷺ: أنَّه بيَّن وقال كلام عجيب جدًّا: أنَّ التمسُّك بالسُّنَّة التي هي حقيقة الإسلام ولُبُّ الإسلام وخُلاصة الإسلام وأصل الإسلام الذي كان عليه النبي الكريم ﷺ سببٌ لنَيْل تساقُط الذنوب. (**إِلَّا تَحَاتَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحَاتَّ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ وَرَقُهَا**).

وأنَّ الاقتصاد في السُّنَّة خيرٌ من اجتهادٍ في خلاف سبيل وَسُنَّةٍ ؛ ترى أُناس مثل الرُّهبان لا يتزوَّجون، ولا يأكلون أكلًا في المُباحات لا يتوسَّعون، ولا ينامون، تَجِدُ رُهبان البوذيِّين لا يأكلون إلَّا شيئًا يقوم به صُلبهم، ولا يشربون إلَّا ما يقوم به حياتهم، ولا ينامون... حياة، مشقَّة، الإنسان لمَّا ينظُر إليهم يقول: «أنا وين! وهذول وين! عُبَّاد».

لكن انتبه! الاقتصاد في السُّنَّة خيرٌ من اجتهادٍ في شِرْكٍ وبِدْعة، هذا فضل عظيم، دِين يأمُرك بأشياء يسيرة تنال بها الدرجات الرفيعة، دِين عظيم، دِين له فَضْل:

- لا يُكلِّفك بما هو مُخالف للفِطرة.
- لا يُكلِّفُك بما فِيه مشقَّة.
- لا يُكلِّفك بما فيه عكس العقل.

- لا يُكلِّفك بما هو مستحيل.
- لا يُخالفك بما هو نقيض.

لا يُمكن؛ دِين عظيم.

أخيرًا... خَتَمَ هذا الباب بأثر أبي الدرداء ﷺ، وفيه بيان أنَّ العمل ولو كان ذرة مع البِرِّ والتقوى واليقين أعظم وأفضل وأرجح عند الله من عبادة المُغترِّين؛ وهذا يدلُّ على فضل الإسلام: أنَّ الإسلام إذا رَسَخَ في قلبك، وتيقَّنْتَ منه، وكنتَ على تقوى وبِرٍّ؛ فمثقال ذرةٍ من ذلك خيرٌ من عبادات المُغترِّين، خيرٌ من الدنيا وما فيها.

ولهذا ينبغي أن تُدرك حقيقة التقوى، وحقيقة البِرِّ، وحقيقة اليقين.

هذه بعض فضائل الإسلام، أورَدَ المصنِّف في أول هذا الكتاب الفضائل لنزداد تمسُّكًا بها.

ثم لمَّا بيَّن فضائل الإسلام أورَدَ الباب الذي بعده [**بَابُ وُجُوبِ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ**]؛ لماذا؟ لندخُل فيه، نتمسَّك به، نعتصم به. نعم!

نسأل الله ﷻ أن يُثبِّتنا وإيَّاكم على الإسلام!

نكتفِي بهذا القدر.

سبحانك اللهم وبحمدك، نشهد أن لا إله إلَّا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.